312



خطاب جلالة الملك
في افتتاح مؤتمر رابطة القضاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

معشر القضاة :

لقد أبينا، جرياً على عادتنا، إلا أن نحضر بنفسنا إلى مؤتمركم الخامس هذا، لنؤكد الصلات المتينة التي تربطنا بكم، ونبرز الرعاية التي لم نفتأ نوليها لرجال القضاء، الذين وضعنا بين أيديهم أمانة السهر على حقوق المواطنين ومصالحهم، ورعاية العدل ونشر ألويته في ربوع المملكة.

وإن الاهتمام الذي تعرفونه منا لشؤون العدل وقضاياه، وحدبنا الدائب على رجاله والساهرين عليه، لهو اهتمام يأخذ من وقتنا وفكرنا الشيء الكثير، ذلك أن العدل يشكل الدعامة الراسخة لكل حكم سليم مستقر.

إنكم لتعلمون أن العدل كان يرتبط في كفاحنا، قبل حصولنا على الاستقلال، بقضية الحرية والكرامة، وكان إنتفاء العدل يشكل مظهراً من مظاهر الاستعباد، ووجهاً صارخاً لطبيعة الاستعمار القائم على الظلم، لذلك فإن إقرار العدل وتنظيمه ونشره، كان في طليعة القضايا الحيوية التي استأثرت باهتمامنا، عقب حصولنا على الاستقلال، باعتبار أن العدل مكسب من مكاسب كفاحنا الوطني.

وأنتم — ولاشك — تستظهرون الآن الخطوات التي قطعناها في هذا المضمار، على مدى هذه السنوات من استقلالنا، حيث حققنا، والحمد لله نتائج تثلج الصدور، وتعتبر مبعثاً للفخر والاعتزاز لنا ولشعبنا.

وإن مؤتمركم هذا، — معشر القضاة — ينعقد في ظروف تاريخية خاصة، فهذه السنة كانت سنة حاسمة في تاريخ القضاء، حيث تم فيها إعداد كل الترتيبات والاجراءات، ليدخل قضاؤنا في مرحلته الجديدة المتميزة بتوحيده ومغربته وتعريبه، الشيء الذي يشكل تحولا حاسماً يتعدى نطاق إصلاح جزئي، فبتوحيد القضاء وتعريبه ومغربته، امتدت سيادة المغرب على ميدان هام وحيوي من ميادين حياته ونشاطه، واستكمل بتحقيقها، آخر حلقة في تدعيم استقلالنا الوطني.

وإن المجهودات المشكورة التي بذلها وزيرنا في العدل منذ أن عهدنا إليه بالمسؤولية على رأس وزارة العدل، وسهره المتواصل على تنفيذ تعليماتنا، لتطبيق قانون التوحيد والمغربة والتعريب، قد واكبهما استعداد تلقائي من جميع القضاة، فكان هذا العمل الجماعي عنوانا على الانسجام المتين، والرغبة المشتركة، في تحقيق هذا التحول الجذري في جهاز القضاء، تنفيذاً لارادتنا وإرادة الأمة.

ولقد كنا ندرك الصعوبات التي ستعترض تنفيذ هاته الخطوة ؛ ومع ذلك أعربنا في السنة الماضية، عن أملنا وثقتنا في التغلب على تلك الصعوبات، وها قد صدق، والحمد لله، ما أملناه وارتقبناه.

فها هي السنة القضائية الجديدة التي ترأسنا حفلة افتتاحها في مستهل هذا الشهر، تطلع علينا ومحاكم المملكة موحدة، وقوانينها معربة، وستصبح إطاراتها على جميع المستويات، وفي الميعاد المحدد بآخر هذه السنة،

إطارات مغربية محضة، فينتهي بذلك عهد الميز القائم على اختلاف القضاء، باختلاف جنسية القاضي والمتقاضي.

وإذا كان اهتمامنا بالتوحيد والتعريب، قد استغرق بعض وقتنا لما له من أهمية، فإن ذلك لا ينبغي أن ينسينا الاهتمام المتواصل، بضرورة الاحتفاظ لقضائنا بمستواه، ليظل قضاء يتميز بصفة التنظيم العصري، ويجمع إلى السرعة والفعالية توفر الضمانات للمتقاضين، ويساير أصول ديننا الحنيف الذي نستقي من نبعه كل مقدساتنا.

إننا لم نفتأ نطلب من قضاتنا التحلي بشيم الفضيلة والنزاهة، ونحثهم على حب المهنة والغيرة على احترام القانون، والسهر على حماية كيان الدولة، وصون مقدساتها من العبث بها، والاخلال بحرمتها.

والقاضي مطالب أدبياً وأخلاقياً أن يرتفع بسلوكه إلى مستوى المكانة الرفيعة التي وضعته فيها الدولة والمجتمع، فيفرض بسلوكه الاحترام لنفسه ولمهنته، كما أن النزاهة الخلقية والفكرية التي تنبع من القلب، والتي تشكل رداءاً ضد كل طمع أو تحيز أو انحراف، تجعل من القاضي ذلك الشخص المرموق في المجتمع، الذي ترتد إليه الأبصار بالتقدير والاحترام.

معشر القضاة :

إنكم تشكلون، من مجموع شعبنا، نخبة نيرة من أبنائه، وصفوة طيبة اخترناها لتقلد أمانة دقيقة وخطيرة، وهي الحكم بين الناس بالعدل، وقد عودتمونا الوفاء لرسالتكم، والحرص على أداء مهمتكم، لقد دعوناكم إلى التعبئة العامة فلبيتم النداء، إلا أننا نكرر هذا النداء بالخصوص في هذه السنة، بعد أن أصبحت الاطارات المغربية تتحمل وحدها عبء المسؤولية، إذ هذا يقتضي المزيد من مضاعفة الجهود، وتعبئة الكفاءات والخبرات لتحقيق النجاح لهذا التغير الذي طرأ على أجهزة القضاء، ذلك أن السيادة في هذا الميدان لها ثمنها، وأنتم الذين تؤدونه من جهدكم وصبركم ومثابرتكم.

إن الدولة قد قامت بواجبها، بحرصها على سن قانون التوحيد، ثم العمل على تطبيقه، وتوفير الوسائل — في حدود إمكانياتها — لتحقيقه، فعليكم بدوركم، أن تبرهنوا على جدارتكم وأهليتكم لما قلدتم به من أمانة، باذلين من وقتكم وجهدكم لتحسين معلوماتكم القانونية، والاستفادة من الحلقات الدراسية، وخبرة المساعدة الفنية، والانصراف إلى الاستفادة والتحصيل، فلا نهاية للعلم، ولا حد للكمال.

نعم ؛ إن إطارات القضاء في حاجة إلى تطعيم، بالزيادة فيها كماً وكيفاً ؛ وهذا شيء لا يعزب عن بالنا، كما أننا نوليه من عنايتنا، ما يستحقه في نطاق إمكانياتنا ووسائلنا، لذلك ستعزز أسرة القضاء بأعضاء جدد، يسهمون بدورهم في نجاح المهمة التي تقومون بها، ويسهرون معكم، على توفير قضاء نزيه وسليم، لخير شعبنا التواق إلى العدل.

إننا نهيب بكم — معشر القضاة — ونحن نورد التضحيات التي تقومون بها، إلى المزيد من العناية بتظلمات المواطنين وذلك بالسرعة في الأحكام والحرص على التنفيذ، وهو الشيء الذي يشتكي من عدم وجوده كثير من المواطنين، فهذا الشعور بحاجة المواطنين إلى العدل، ورغبتهم في توفير أسبابه، يجب أن لا يعزب عن ذهنكم، وأنتم تؤدون رسالتكم السامية التي لها أوثق الصلات بالشعب والمواطنين.



معشر القضاة :

إننا نبارك مؤتمركم هذا الذي تجتمعون فيه كل سنة، لتتدارسوا شؤون مهنتكم، وتتناقشوا ظروف عملكم، وإنها لسنة حميدة، سرتم على هديها، تأكيداً لدوركم الاجتماعي والوطني، وامتزاجاً بواقعكم، وبحثاً عن الحلول الناجعة، للمشاكل التي تواجهونها نظرياً وعمليا.

إننا ندعو لكم بالتوفيق، ونأمل أن تطبع ملتمساتكم روح الواقعية والايجابية، وأن تعودوا إلى عملكم، أكثر إيماناً وحماساً بالدور المنوط بكم، والمهمة الملقاة على عاتقكم.

«يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله».

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ألقي بفاس

السبت 5 رجب 1385 — 30 أكتوبر 1965